

خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٣/٥/٢٠٢٥

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين

في خطبة الجمعة الماضية كنت قد تحدثت عن حادث قتل فيه أحد المسلمين شخصا رغم أنه سلم عليه، وكنت قرأت بهذا الصدد من سورة النساء الآية ٩٥ التي قال الله فيها: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾، ولكن لم أتمكن عندها من ذكر تفاصيل ذلك. كنت قد ذكرت فقط أن النبي ﷺ نهاه عن ذلك، ولكن ورد أيضا أن رسول الله ﷺ غضب على ذلك المسلم غضبا شديدا وأبعده من عنده، بل ورد في بعض الروايات أن النبي ﷺ دعا عليه. باختصار، كان ﷺ قد أصابته صدمة شديدة بسبب هذا القتل. ولأن ورثة ذلك القتل كانوا قد رفعوا قضية قصاصه للنبي ﷺ بعد غزوة حنين لذلك سوف أذكر تفصيل ذلك عند الحديث عن تلك الغزوة. على كل حال، كان النبي ﷺ قد عدّ هذا القتل جريمة شنيعة. ليت المشايخ المعاصرين الباكستانيين -المحتكرين للدين في زعمهم- يعودون للصواب فيرتدعوا عن صبّ الظلم على الأحمدين، لكي ينجوا من بطش الله عز وجل.

على كل حال، في سياق الحديث عن الغزوات سوف أتناول الآن ذكر غزوة فتح مكة التي وقعت في العام الثامن الهجري. وتُعرف هذه الغزوة أيضًا بـ"غزوة الفتح الأعظم"، وكما قلت إنها كانت في السنة الثامنة الهجرية في شهر رمضان. إنه ذلك الفتح العظيم الذي بشر الله تعالى به سلفا، والذي بسببه دخل الناس في الإسلام أفواجا.

قال حضرة المصلح الموعود ﷺ في سياق بشارة فتح مكة بالإشارة إلى قول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾: أي: قل ربّ، أدخلني هذه البلدة، أي مكة، بخير وبركة، أي أدخلني فيها فاتحا غالبا بعد هجريتها منها، وأخرجني منها بخير وبركة، أي عند الهجرة، وهيب لي من عندك أسباب النصر والغلبة.

هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ في سورة بني إسرائيل قبل الهجرة، وهي تتضمن البشارة بالهجرة ثم بفتح مكة.

وقد وردت البشارة بفتح مكة في سورة الفتح أيضا كآتي: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾. والواقع أنه في نفس اليوم الذي هاجر فيه النبي ﷺ من مكة قد بشره الله تعالى بألا يجزن لأنه سيعيده إلى هذا المكان في يوم من الأيام، حيث ورد أيضا أنه قد نزلت على النبي ﷺ في أثناء الهجرة الآية التالية: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾.

وقال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره لهذه الآية: إن "معاد" هو المكان الذي يعود إليه الناس مرة بعد أخرى، وهي مكة، والمقصود به هو عودة النبي ﷺ إليها يوم الفتح.

وفي رواية أن النبي ﷺ بينما كان بين مكة والمدينة أثناء الهجرة عبر عن حبه لمكة، فنزل جبريل عليه السلام وقال: "هل اشتقت إلى وطنك ومولدك؟" فقال ﷺ: "نعم." قال جبريل: "إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، أي سيعيدك إلى مكة غالبا منتصرا على قريش." لأن النبي ﷺ كان في مكة، ثم غادرها، ثم عاد إليها، فلا ينطبق هذا على مكان سوى مكة.

ويرى الباحثون أن هذه النبوءة القرآنية دليل على نبوة النبي ﷺ، لأن الله تعالى قد أدلى فيها بنبا غيبي، ثم حصل كما أنبا.

وقد وردت نبوءة فتح مكة في آية أخرى في القرآن الكريم أيضا، وكأنما هي تذكير رباني للنبي ﷺ وللمسلمين جميعا بأنه أينما ذهبوا فلا ينبغي لهم أن ينسوا أن مكة ستفتح في النهاية، وأن عليهم بذل الجهد والعمل والدعاء من أجل ذلك، ويمكننا في ضوء هذه النبوءة القرآنية القول إن جميع الحروب والمعارك التي خاضها النبي ﷺ حتى ذلك الحين كانت تهدف إلى فتح مكة ضمن أهدافها الأخرى. وفي سياق ذكر هذه النبوءة القرآنية العظيمة قال حضرة المصلح الموعود ﷺ في تفسير قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾:

"قال المفسرون في قوله تعالى ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أن معناه: يجب عليكم حيثما كنتم أن تجعلوا المسجد الحرام قبلتكم على أي حال. وسبب ذلك عندهم أن الله تعالى عندما أمر من قبل بالتوجه إلى القبلة فقد يظن البعض أن هذا الأمر خاص بأهل المدينة وليس للجميع، لذلك قال الله تعالى: من حيث خرجتم فاتجهوا نحو المسجد الحرام".

ويقول حضرته: "ولكن الحقيقة أنه سواء كان الخطاب هنا إلى محمد رسول الله ﷺ أو إلى المسلمين جميعا، فلا تعني هذه الآية أن يتجهوا إلى القبلة وقت الصلاة، وذلك لعدة أسباب: أولا- لأن الصلوات التي يؤديها الإنسان وهو مقيم في بلده أو قريته أكثر من تلك الصلوات التي تحين وقت خروجه من البلد عموما، لذا

كان الواجب أن يصدر أمرٌ يُغطي أكثر ما يمكن من الصلوات بدلاً من صدور أمرٍ تقل الفرصة للعمل به في حالة السفر جدًّا، فمثلاً يمكن أن يخرج المرء من البلد في العاشرة صباحاً أو بين العصر والمغرب أو في منتصف الليل، وكل هذه أوقات لا مجال للصلاة فيها عادة، فيصبح قول الله تعالى ﴿مَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ في هذه الحالة بلا فائدة أو معنى، إذ قلما يخرج الإنسان من البلد وقت الصلاة، فإما أنه يكون قد صلى قبل الخروج، أو يمكن أن يصلّيها بعد خروجه ببعض الوقت. على كل حال، لا علاقة للصلاة بوقت الخروج. كان من الممكن التسليم بهذا المعنى لو كان هناك صلاة لها علاقة خاصة بخروج الإنسان من بيته وبلده، ولكن الجميع يعرفون أنه ليس هناك صلاة خاصة بوقت الخروج. فلا يصح تطبيق معنى هذه الآية أبداً على خروج الإنسان من بيته وبلده بإرادة السفر. ومما يؤكد قولنا بأن هذه الآية لا علاقة لها باستقبال القبلة وقت الصلاة هو أنه يستحيل استقبال القبلة في حالة السفر أحياناً، وتجاوز الصلاة عندها في أي جهة يكون عليها الإنسان. مثلاً إذا كان على مطيته ولا يستطيع النزول عنها، فالثابت من القرآن والسنة النبوية أن صلاته تصح سواء أكان مستقبل القبلة أم لا، ولا تبقى الجهة ذات معنى عندئذ، وإنما يستوي الشرق والغرب والجنوب والشمال، ويكفي التوجه القلبي إلى الكعبة المشرفة. في هذه الأيام مثلاً عندما يركب الإنسان في القطار، فلا يمكن أن يتقيد بجهة، لأن القطار يتجه مرة إلى الشمال ومرة إلى الجنوب وتارة إلى الشرق وأخرى إلى الغرب، كذلك يحدث هكذا في السفر الطويل بالطائرة، ولكن هذا لا يخل بصلاة الراكب فيه. فلو صح المعنى الذي يقول به المفسرون ما أمكن أن يعمل به المسافر على راحلة أو قطار أو طائرة. وما دام الإنسان لا يستطيع وقت الخروج أن يتقيد بجهة معينة فكيف يمكن أن تعني هذه الآية أن عليه أن يصلي مستقبل الكعبة المشرفة من حيث خرج مسافراً؟

ثم إن هذا المعنى لا يصح أيضاً لأن المعنى الحرفي لهذه الآية هو: من حيث خرجتم يجب أن تتجهوا إلى البيت الحرام، أو من حيث خرجت يجب أن تتجه إلى البيت الحرام. والواضح أن الإنسان لا يؤدي صلاته وهو يخرج من البيت، وإنما يؤديها بعد أن يتوقف في مكان ما. لو كانت كلمات الآية "فحيث ما كنت فول وجهك شطر المسجد الحرام" لصح المعنى الذي يذهب إليه المفسرون، ولكن الله تعالى يقول هنا ﴿مَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.

أي يا محمد رسول الله ﷺ، أو يا أيها المسلمون، من حيث خرجتم فولوا وجوهكم شطر المسجد الحرام. والآن من الواضح أن الصلاة لا تُؤدى وقت الخروج، بل تُؤدى الصلاة عند التواجد في مكان ما. فتبين من كل ذلك أن هذه الآية لا تعني التوجه إلى المسجد الحرام وقت الصلاة.

يقول المفسرون إننا لو لم نربط هذا الخروج بالصلاة للزم التكرار في القرآن. ولكن قولهم هذا أيضاً خطأ. إنهم يجدون في القرآن تكراراً لأنهم لا يستطيعون الربط الصحيح بين مواضع القرآن ومطالبه الصحيحة.

فحيثما يجدون إشكالا يدخلون في متاهة الناسخ والمنسوخ، فيأخذون بآية ويعتبرون الأخرى منسوخة، ويتخلصون من الإشكال. مع أننا لو نظرنا إلى حقائق القرآن الكريم التي بينها سيدنا المهدي والمسيح الموعود عليه السلام لم نجد في القرآن أي تكرار، ولم نضطر إلى القول بنسخ آية منه.

الواقع أن الرسول صلى الله عليه وآله عندما أُخرج من مكة وجد أعداء الإسلام فرصة للاعتراض قائلين: إذا كان هو الموعود حقا ومصادقا للدعاء الإبراهيمي، وإذا كان له علاقة خاصة بالكعبة المشرفة.. فلماذا طرد من مكة؟ (فالسؤال هو أنه إذا كان قد طُرد من مكة فكيف يمكن أن يكون مصداقا للدعاء الإبراهيمي) إذن فليس هو مصداقا للدعاء الإبراهيمي. فيرد الله على هذا الاعتراض قائلاً ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.. يا محمد.. إن خروجك من مكة مؤقت. ونعدك أننا سوف نمكنك من الرجوع إليها مرة أخرى وفتحها. وعندما يقطع الله مع عباده المؤمنين وعودا فإنه يتوقع منهم أيضا أن يبذلوا من جانبهم جهودا لتحقيقها، ولا يصح أن يعدهم الله فيجلسوا عاطلين، ويظنوا أنه ما دام الله تعالى قد وعد فلا بد أن يحققها بنفسه، ولا حاجة لنا لبذل الجهود لتحقيقها.

لقد وعد الله قوم موسى أنه سيعطيهم "أرض كنعان". فخرج موسى مع قومه.. وعندما وصل إزاء هذا البلد قال لقومه: ادخلوها واستولوا عليها بالقتال. ولكن قومه أخطأوا وظنوا أن الله سوف يحقق لهم الوعد لا محالة ويعطيهم البلد بنفسه، إذ لا معنى للوعد في نظرهم إذا هم بذلوا الجهد وفتحوا البلد بمشقة القتال. (فمادام الله تعالى قد وعد فلا بد أنه بنفسه ينجزه، ولا داعي لهم لبذل السعي لتحقيقه) فقالوا لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة ٢٥).. أي لقد أخبرتنا يا موسى، أن الله وعدك أنه سيعطينا هذا البلد، فمن واجبك أنت وربك أن تذهب وتقاتلا أما نحن فلن نحرك ساكنا بل نظل قاعدتين، فإذا فتحتم لنا البلد فسوف ندخله.

وقولهم هذا يبدو معقولا في الظاهر، لأن الإنسان إذا وعد أحدا بمنحه شيئا، وجاء الموعود يسأل تحقيق الوعد، فقال له: اذهب واشتره من السوق.. لزم الناس هذا الإنسان وقالوا: إذا كان على الموعود أن يشتريه من السوق فلماذا وعده بإعطائه؟ لكن قول أصحاب موسى -رغم معقوليته شكلا- في الحقيقة غاية الحمق فيما يتعلق بالجماعات الإلهية. فالله تعالى لم يمدح بني إسرائيل على ذلك، ولم يقل: لا حاجة بكم للقتال وسنعطيكم هذا البلد، بل قال لهم: إنكم تناولتم علينا، ولذلك سوف نحرمكم هذا البلد، فاذهبوا تائهي في البراري ضائعين في الفيافي لأربعين سنة، ولن تراثوا هذه الأرض بل سيرثها أجيالكم بعدكم لأنكم أسأتم إلينا. فالقول الذي يبدو من حيث المعايير الإنسانية صحيحا معقولا، يعتبر غاية الحمق بالنسبة للجماعات الإلهية، ويجلب على الإنسان عذاب الله.

فقالوا لموسى عليه السلام: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾. أي: يا موسى، كنت تخبرنا أن الله تعالى سيعطيكم هذه الأرض. والآن، كل المسؤولية تقع عليك أو على ربك. فإذا فتحنا الأرض بأنفسنا، فما فائدة وعودك ووعود ربك؟ (لأنك كنت تخبرنا عن هذه الأمور)

الحقيقة أنه عندما يعد الإنسان، وهو لا يملك التصرف في التغيرات السماوية والأرضية.. فإنه لا يعد إلا بالذي يكون تحت تصرفه. ولكن وعد الله تعالى يعني أنكم لا تستطيعون الحصول على هذا الشيء بجهودكم الشخصية ولكنكم سوف تنالونه بمعونتنا ونصرتنا. هذه الأمة التي عاشت لمئات السنين تحت نير العبودية عند فرعون، واشتغلت بالأعمال الشاقة المهينة من صنع اللبن وقطع الأخشاب.. أتى لها أن تستولي على بلد عظيم يحكمه قوم عاد؟ لم يكن الاستيلاء على مثل هذا البلد سهلا عليهم. يقول الله تعالى: إن استيلاءكم على هذا البلد مستحيل في الظاهر، ولكننا نعدكم بإعطائكم إياه، وسوف تستولون عليه بمعونتنا ونصرتنا. ووعد الله لعباده لا يعني أن الله تعالى يحقق وعده بنفسه ولا حاجة للعبد في بذل الجهود.. ولكنه يعني أنكم إذا بذلت الجهود وأخذتم بالأسباب فسوف نعينكم وننصركم فتفعلون. فكأن وعود الله تعالى من نوع، وعود العباد من نوع آخر، فللعباد دور في تحقيق وعود الله.. وهو أن يأخذوا بالأسباب لتحقيقها، وإذا لم يتدخل العباد ولم يبذلوا الجهود لتحقيقها استوجبوا العقاب. ولكن وعود العباد تختلف عن الوعود الإلهية، لأن العبد لا يستطيع أن يعد غيره ويقول (سوف أغير لك قدر الله).. لأن هذا ليس من خياره، ولو وعد بذلك لقال له الناس: من أنت حتى تدعي بتغيير قدر الله؟ ولكن الله تعالى هو القادر على أن يقول: لو فعلتم ذلك فسوف أنصركم وأغير لكم قدرتي؛ لأن القدر بيده، ويمكن أن يغيره متى يشاء.

فعندما وعد الله رسوله بفتح مكة قال للمسلمين: لا تكونوا مثل قوم موسى فتظنوا أنه ما دام الله تعالى قد وعدكم بالفتح فسوف يفتحها لكم بنفسه.. ولا حاجة لكم بالأخذ بالأسباب؛ بل عليكم أيضا أن تبذلوا جهودكم لتحقيقه. إن وعد الله يعني أنكم ضعفاء. إذ لو لم تكونوا ضعفاء ما تركتم مكة. فهجرتكم منها تعني أنكم ضعفاء، وأن عدوكم قوي، ولكن الله تعالى سوف يقويكم وسوف يمكنكم بفضلته ونصرته من انتزاع مكة من أيديهم.

إذن فمعنى قوله تعالى ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أنكم من حيث خرجتم يجب أن يكون فتح مكة أول غاية وهدف لكم.

ثم من معاني الخروج البروز للقتال؛ فتعني الآية أنكم كلما خرجتم للقتال وحاربتهم في أي مكان واتجهتم إلى أي اتجاه سواء إلى الشرق أو الجنوب أو الغرب أو الشمال فيجب أن يكون خروجكم هذا تمهيدا لفتح مكة. فمثلا لو خرجتم للقاء عدو في الجنوب ثم أدركتم أن هناك أعوانا له في الغرب قد يهاجمونكم من الخلف فتصديتهم لهم.. فذلك يعني أن حربكم في الغرب هي تمهيد لحرب العدو الذي في الجنوب. وكذلك لو كان للعدو أنصار في الشمال أو في أي مكان، فمحاربتكم إياهم هي حرب للعدو الجنوبي.. لأن هدفكم

الحقيقي هو الهجوم على العدو في الجنوب. إلى هذا المبدأ يشير الله هنا ويقول: أيا كان القوم أو البلد أو المنطقة التي تخرجون لمحاربة أهلها فيجب أن تكون وجهتكم مكة، لأن الله تعالى يريد أن تفتحوها وتستولوا عليها.

فعندما نلقي نظرة على غزوات النبي ﷺ نجد هذا العامل بارزا جدا، فكان فتح مكة هو الهدف الأسمى لقتاله وحروبه.

لقد هب لقتاله عدد من الأمم، وأثاروه فعلا واشتبكوا معه، فإذا رأى في حرب أنها تُفوت عليه هدفه هذا ولا تحققه، أو أحس بأن القتال مع عدو سوف يؤخر فتح مكة.. فكان يعض النظر عنه رغم استفزاز العدو له. ولكن إذا أثاره قوم وكانت هزيمتهم خطوة لفتح مكة قاتلهم النبي ﷺ. إذا ألقينا نظرة على الغزوات الإسلامية وجدنا جميعها كانت تنطوي على هذه الحكمة.. وعلى وجه الخصوص الغزوات التي تمت قبل فتح مكة.. فقد كان هدفها الوحيد التمهيد لفتح مكة.

وعليه فإذا كان معنى هذه الآية هو: أينما خرجتم فولوا وجوهكم شطر القبلة، لما وردت كلمات ﴿مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ في هذه الآية، ووردت كلمات "حيثما كنت اتجة إلى القبلة"، فلو كان المراد الاتجاه إلى القبلة لكانت الكلمات "حيثما كنت"، لأن الناس لا يصلون عند الخروج من مكان، بل يسرون عند الخروج. فلا علاقة لهذه الآية بأداء الصلاة، وإنما معناها أنكم من حيث خرجتم متجهين إلى الشرق أو الغرب أو الشمال أو الجنوب يجب أن تكون وجهتكم هي مكة، أي يجب أن يكون فكركم وخيالكم وعقلكم دائما متجها إلى فتح مكة، وبالتالي توطيد الإسلام في الجزيرة العربية.

ومن معاني "الوجوه" التوجهات. فالمقصود إذن أن يكون لكم اهتمام وهدف وحيد، وهو فتح مكة، لتجعلوا الكعبة المشرفة مركزا للإسلام، لأنه ما لم تقع مكة في قبضة المسلمين وما لم ينتشر الإسلام في مكة، لا يمكن أن يُسلم سائر العرب.

هذه هي الخطة والغاية التي حددت للمسلمين، ولا شك أنها كانت خارج نطاق قدرة المسلمين. نعم، لم تكن في الجزيرة العربية حكومة منظمة، ولكنها لم تكن أيضا تحت حكم طائفي. بل كان ملوك عديدون على صلة بهم، ويتعاهدون معهم. وصحيح أنه لم تكن لمكة حكومة منظمة حق التنظيم ولكنها كانت عاصمة حكومة يتراوح عدد سكانها بين مليون ونصف المليون إلى مليونين. كانت القبائل حولها تنظر إلى أهلها، وكانوا يطيعون حكامها في قراراتهم وأوامرهم. ثم إن مكة كانت بلدا كبيرا بمقياس ذلك الزمن يقطن بها خمسة عشر ألفا من السكان، ولم يكن أهل مكة فقط، بل كل سكان الجزيرة العربية كانوا محاربين مطبوعين على القتال ماهرين في فنونه. ولم يكن محاربتهم أمرا سهلا بالنسبة للمسلمين.

عندما نزلت هذه الآية على النبي ﷺ - لم يكن عدد المقاتلين في المسلمين يزيد على أربعمئة أو خمسمئة، أو ألفا على أكثر تقدير. وكان عدد المسلمين رجالا ونساء وكبارا وصغارا عشرة آلاف أو اثني

عشر ألفا لا أكثر من ذلك. أما عتادهم الحربي فلا يستحق الذكر. وعندئذ حين كان المسلمون ضعفاء جدا، ولم يكن أي تكافؤ بين المسلمين والكفار في العدد والعدة، ولم يكن لقوتهم الحربية أي وزن، قال الله للكفار متحديا: إن هؤلاء المسلمين الذين ترونهم قلة ضعيفة بلا حيلة سوف يفتحون بلدكم في يوم من الأيام، ويستولون على عاصمتكم، وينالون السلطة فيها حتى ينفذون فيها تعاليم الإسلام وأحكامه، ويمحون الكفر والشرك من أرض الجزيرة العربية.

هذا التحدي بالنظر إلى حال المسلمين كان ضربا من الخبل. ثم أنه لم يكن موجها لأهل الجزيرة العربية وحدها، بل كان له أثر واسع، فلم يكن يتضمن نبأ عن فتح مكة ولا نبأ بالتغلب على الجزيرة العربية فحسب، بل كان تحديا قويا لليهودية والمسيحية والمجوسية أيضا بأن الإسلام سوف يظهر على كل هذه الأديان ويسود في العالم كله.

كانت هذه الدعوة دعوة جنونية بحسب الظروف يومئذ، ولذلك كان الكفار يسمّون الرسول - ﷺ - مجنونا، وأصحابه مجانين، لأنهم كانوا لا يرون في هذه الدنيا المادية أية أسباب مادية لتحقيق هذه الدعوة. والحقيقة أن الأعمال غير العادية لا تُنجز ما لم يكن في الإنسان أحيانا ما يسميه الأطباء (هوس) وما لم ينس الأمور الأخرى كلها، وما لم يتولد في نفسه قلق واضطراب كل حين، وما لم يوجد فيه نوع من الجنون. وإلى هذا الأمر ينبه القرآن الكريم هنا ويقول: عليكم أن تنسوا كل الأهداف الأخرى، وتضعوا في حسابانكم أن فتح مكة للإسلام أول واجب عليكم، واعلموا أنه ما لم يتم الاستيلاء على هذا المركز وهذا الحصن لن يتم لكم فتح سائر العرب ثم الدنيا من بعدها.

وهنا ينشأ سؤال: لماذا قال الله تعالى ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ .. ولماذا لم يقل: ومن حيث هاجمت فاجعل المسجد الحرام غايتك؟ والجواب: أن الإنسان وقت خروجه يقرر هدف هجومه، وليس بعد القتال يحدد هدفه. ولما كان الله يريد توجيه أنظار المسلمين إلى هدف فتح مكة قال: من حيث خرجتم .. انظروا ماذا يكون أثر هذا الخروج على فتح مكة. إذا لم يكن مساعدا على إنجاز فتح مكة فدعوه.

ولكن هذا لا يعني أن الإسلام يعلم أتباعه بهذا الأمر الحروب العدوانية .. لأن التاريخ يؤكد ويثبت أن الحروب مع الكفار كانت قد بدأت قبل نزول هذه الآيات.

وجدير بالملاحظة أن الله خاطب في قوله ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ رسوله فقط، ذلك لأنه لم يكن هناك بعد النبي - ﷺ - حاجة إلى فتح مكة. لقد قدر سبحانه وتعالى ألا يقع هجوم بعد ذلك على مكة، بل كانت ستبقى في قبضة المسلمين كلية. وكان في هذا النبأ أنه لن يتم فتح مادي لمكة مرة أخرى .. لأن الله تعالى قد خلق جماعة فعالة لتوطيد عظمة مكة، وسوف تبقى في قبضة المسلمين إلى الأبد. (وبهذا تم دحض الاتهام بالحروب)".

هذا التمهيد والمقدمة والخلفية كانت ضرورية لبيان الأحداث التي سأتناولها في المستقبل، فسوف تساعد على استيعابها. والبقية إن شاء الله مستقبلاً.

الآن أود أن أذكر شهيداً أيضاً وسأصلي عليه جنازة الغائب بعد الصلاة، وهو الدكتور شيخ محمد محمود من سرغودها، ابن شيخ مبشر أحمد الدهلوي. فقد استشهد على يد معادٍ للأحمدية والذي أطلق عليه النار في السادس عشر من مايو. إنا لله وإنا إليه راجعون.

بحسب تفاصيل واردة عن الحادثة وصل الدكتور بعد أداء صلاة الجمعة، إلى مستشفى فاطمة في سرغودها مع عائلته حيث كان يمارس عمله. بعد دخول المستشفى حين كان يمر من مكان الاستقبال الرئيسي ووصل إلى الممر المقابل لقسم الطوارئ متجهاً نحو غرفته، أخرج شخص مجهول كان يتبعه، مسدساً من كيسه وأطلق النار عليه من الخلف. أصابته رصاصتان اخترقتا جسده. نُقل الدكتور إلى المستشفى المدني فوراً ولكنه لم يتحمل الجراح واستشهد. إنا لله وإنا إليه راجعون.

بعد الحادثة، هرب المهاجم على دراجة نارية ملوفاً بسلاحه مع رفيقه الذي كان واقفاً خارج المستشفى. كان عمر الفقيد وقت الاستشهاد تسعة وخمسين عاماً.

دخلت الأحمدية عائلة الشهيد المرحوم عن طريق حضرة سرفراز حسين الدهلوي رضي الله تعالى عنه وكان الأخ لجد المرحوم الأكبر السيد بابو إعجاز حسين، فنال سعادة الانضمام إلى الأحمدية ببيعة حضرة المسيح الموعود عليه السلام. فيما بعد، بايع جد الشهيد المرحوم الأكبر بابو إعجاز حسين الدهلوي أيضاً بواسطة أخيه. حظي كل من جد الشهيد المرحوم الأكبر بابو إعجاز حسين وجده بابو نذير أحمد بفرصة الخدمة بصفة أمير الجماعة الأحمدية في دلهي الواحد تلو الآخر.

نال الشهيد شهادة الثانوية العامة العلمية من كلية إف سي بلاهور، ثم التحق بكلية راولبندي الطبية وحصل على درجة البكالوريوس في الطب والجراحة عام ١٩٩٠. بعد البكالوريوس، اجتاز امتحان الخدمة العامة في البنجاب. عمل لمدة أربع سنوات في مستشفى "سرفيس" ومستشفى "جناح" في لاهور. حصل على عضوية الكلية الملكية للأطباء في المملكة المتحدة عام ١٩٩٨، وعلى الزمالة عام ٢٠٢١.

انتقل الشهيد إلى سرغودها عام ٢٠٠١. كان الدافع البارز وراء انتقاله إلى هناك خدمة البشرية. كان أول أخصائي لأمراض الكبد والمعدة في محافظة سرغودها. التحق بمستشفى خاص في سرغودها وكانت له علاقات ممتازة مع صاحب المستشفى، لكن الرجل كانت له خلفية سياسية. وكان سيشارك في انتخابات الجمعية الوطنية عام ٢٠١٨، إذ كان رجلاً سياسياً، فهدده المشايخ قائلين "سنفعل هذا وذاك"، فقال للدكتور: "اترك المستشفى، أنا مجبر، لا يمكنك العمل معي الآن". على أي حال، ترك الدكتور ذلك المكان، فالتحق بمستشفى آخر.

منذ انتقاله إلى سرغودها عام ٢٠٠١م، كان يقدم خدماته بانتظام كطبيب زائر في مستشفى "فضل عمر" في ربوة، وقد جعل الله تعالى الشفاء على يده، فكان عدد كبير من المرضى يستفيدون منه. إلى جانب العلم الدنيوي، كان لديه علم ديني واسع أيضًا. كان قد قرأ تفسير القرآن الكريم والتذكرة والخزائن الروحانية وغيرها من كتب الجماعة والكتب المتعلقة بالمسائل الخلافية. وُفق الشهيد المرحوم لخدمة الجماعة كنائب أمير المحافظة في سرغودها. بعد تأسيس الجمعية الطبية، كان عضوًا فيها، وفي عام ٢٠٢٤م عُيّن نائب الرئيس المساعد لها، وكان أيضًا رئيس فرع سرغودها. منذ السنوات الثلاث الماضية كان يعاني من مرض السرطان، ومع ذلك كان يعطي الأولوية دائمًا لمرض الآخرين على مرضه، وكان مستعدًا للخدمة في كل وقت. كان التعاطف والمحبة مع المرضى والعلاج المجاني للمحتاجين من صفاته البارزة. إلى جانب العلاج المجاني للمرضى المحتاجين، كان يعطيهم أحيانًا أجرًا للعودة أيضًا، بل كان يجري بعض الفحوصات مجانًا ويدفع ثمنها بنفسه. كما ذكرت، كان أول طبيب متخصص في أمراض الكبد والمعدة في محافظة سرغودها. كان يساعد الفتيات الفقيرات مساعدة مادية جيدة في زواجهن مع الحفاظ على كرامتهن. كتب شخص أن المرحوم كان يقدم المساعدة المالية بانتظام لمحتاج منذ فترة طويلة. في البداية كان ذلك الشخص يأتي مرة أو مرتين في الشهر، ثم بدأ بالمجيء كل يومين أو ثلاثة أيام، لكنه استمر في مساعدته رغم ذلك. في يوم من الأيام ربما ألح كثيرًا في أمر ما، والدكتور عادة لم يكن يغضب وكان رقيق القلب، فخرجت كلمة قاسية من فمه، لكن بسبب رقة طبعه وطيبته ظل قلنًا ومضطربًا طوال الليل قائلاً لماذا قلتُ له كلامًا قاسيًا. في اليوم التالي دعاه واعتذر منه وأعطاه مبلغًا كبيرًا كمساعدة مالية. كان يحترم كبار الجماعة جدًا. عند الحاجة كان يذهب إلى ربوة ويفحص المرضى خصيصًا ويصف لهم العلاج.

تقول والدة الشهيد السيدة أمة الحي أن المرحوم كان يحترم والديه احترامًا عظيمًا، احترامًا بالغًا، لم تكن لديهما حاجة إلا وقد لبأها دون طلب. لم نطلب منه شيئًا قط، لكنه كان يُلبى كل شيء. منذ الطفولة كان يتمتع بصفات لا تُحصى. كان لا يتدخل في شؤون الآخرين، ويجب الخليفة حبا جما، ويهتم كثيرًا بالفقراء والمرضى. كان يحتفظ بحساب كامل للأموال المالية. كان يحافظ على ترابط جميع أفراد العائلة. تقول زوجته السيدة نور أنه كان دائمًا ينصح الأطفال بالارتباط بنظام الجماعة. كان يكن إخلاصًا وولاءًا للخلافة، وكان يستمع لخطب الخليفة بانتظام ويُدون النقاط في مذكرته للاستفادة منها. قليل من الناس يفعلون ذلك، بل حتى الوافقون حياتهم لا يفعلون ذلك. كان مثالا في دفع التبرعات أيضًا. وقت استشهاده كان قد صقّى جميع حسابات تبرع الوصية لعام ٢٠٢٥.

له أربعة أولاد: ابنان وبنتان. أحد الأولاد طبيب، وهو الدكتور بصير، يقول: كان أبونا دائمًا ينصحنا بالحفاظ على الصلة بالخلافة. ابنته صائمة تقول: كان أبًا لطيفًا جدًا. في مناسبة زواجي أعطاني نصيحة واحدة قائلاً: "يا ابنتي، عندما تذهبين إلى بيت زوجك، احرصي دائمًا على البقاء مرتبطة بنظام الجماعة.

إذا حصلت يومًا على شرف خدمة الجماعة بأي شكل، فلا ترفضني أبدًا. " تقول: كان والدي يبحث عن جانب لخدمة الجماعة حتى في الأعمال العادية.

تقول كنته: كان يؤكد كثيرًا على التوكل على الله. كلما طُلب منه الإرشاد في أي أمر، كان يبدأ كلامه بالدعاء وينهيه بالدعاء.

تقول أخته: كان قلقًا جدًا بخصوص معارضة الجماعة. كان من عاداته اليومية الاستيقاظ ليلاً لأداء النوافل وصلاة التهجد.

يقول السيد خالد محمود، أمير الجماعة في محافظة سرغودها، إنه كان مسيحًا للفقراء وإنسانًا عظيمًا. بالإضافة إلى كونه نافعًا للناس، كانت صفة التواضع والانكسار بارزة فيه. كان كثيرًا ما يردّ الرسوم للمرضى الفقراء. كما كان متميزًا في التضحية المالية للجماعة. بالإضافة إلى دفع التبرعات وفقًا للوعود، كان يتعاون بشكل خاص في دفع التبرعات الإضافية أيضًا. كان يحترم مسؤولي الجماعة كثيرًا.

يقول داعية الجماعة في سرغودها، السيد زبير، لقد فارقنا حبيبنا وخادم الإنسانية، والصورة المتجسدة للرحمة والشفقة، ومسيح آلاف الناس، وعاشق الخلافة، والملاك المتجسد. كان الشهيد المرحوم إنسانًا درويشًا. كان كل جانب من جوانب حياته مثاليًا. كلما ذهب إليه أي مسؤول في الجماعة أو واقف الحياة، كان المرحوم ينهض من الكرسي ويقف له، وعند الوداع كان يشيعه إلى الباب. يقول: عندما لُفت انتباهه إلى أن الأوضاع سيئة وأنه يجب أن يبقى معه حارس أمن أو خادمًا تلبيةً لمتطلبات الاحتياط، أجاب الدكتور دائمًا: "يمكنني أن أبقى حارسًا أو خادمًا معي للأمان، لكنني لا أستطيع أن أتحمل أنه إذا جاء أحد لقتلي - لا قدر الله - فإن حياة شخص آخر قد تذهب بسببي." مع أن المعارضين وزّعوا إعلانات ضده في جميع أنحاء المقاطعة بأنه يستحق القتل وهذا هو عقابه، إلا أنه رغم ذلك لم يبال أبدًا. كان المعارضون للجماعة أعدوا قائمة للأحمديين لاغتيالهم، كان اسم الدكتور في مقدمتها بين الأطباء الأحمديين الذين كان يستهدفهم المشايخ. بل إن شيخًا يُدعى "أكرم طوفاني" أفتى بوجوب قتله ووزّع هذه الفتوى، لكن الحكومة لم تتخذ أي خطوة.

يقول مدير مستشفى فاطمة، وهو مستشفى مسيحي، والمدير أيضًا قسيس: "لقد فارقنا إنسان كان خادمًا للبشرية. قلوبنا منهكة من شدة الحزن." والجدير بالذكر أن هذا المسيحي، مدير المستشفى، جاء مع الطاقم الإداري وزملاء آخرين إلى ربوة وقت جنازة المرحوم.

كما غطت وسائل الإعلام الاجتماعية والمطبوعة استشهاد الدكتور. كتبت مساعدة مفوض في منشورها - ولكن هؤلاء الناس لا يستطيعون سوى الكتابة، ولا يمكنهم فعل أي شيء آخر لأنهم لا يملكون الشجاعة للوقوف أمام المشايخ أو اتخاذ قرار ضدهم. ولكن مع ذلك، فإن شجاعته تتجلى في أنها، رغم كونها امرأة، كتبت في منشورها: "لم يكن الشيخ محمود أقل من مسيح للفقراء. كان متخصصًا طبيًا ممتازًا.

أحياناً كان يقوم بالفحوصات المكلفة مجاناً للفقراء. ربما لا توجد عائلة واحدة في المحافظة لم تتلق العلاج من الدكتور. " هذه السيدة ليست من الجماعة ولكنها تمدحه. تقول: إنه كثيراً ما كان يعالج مجاناً، وهذا عمل عظيم. أدرك هذا لأنني بنفسى طبيبة. لو ذهب الدكتور إلى أي بلد آخر، لكان بإمكانه كسب الكثير من المال وعيش حياة مريحة، ولكنه فضل خدمة الإنسانية هنا في سرغودها. تقول: "اليوم، للمرة الأولى، بكييت بالدموع على رحيل إنسان لم تكن لي به أي علاقة شخصية، بل كانت مجرد علاقة إنسانية. كان لهذا الشخص ممن كثيرة على عباد الله. إذا سألتهم عن جرمته، فأقول كانت جرمته هي كونه أحمدياً. كتب طبيب آخر: "كان الدكتور أول متخصص من سرغودها قد حاز على شهادة PRCP. رغم كونه مؤهلاً وكبيراً في مجاله، كان لا يزال يقوم بالإجراءات بأقل الأسعار في سرغودها. قُتل بسبب اختلاف العقيدة. هل هناك أي قانون في هذا البلد؟"

كتب صحفي مديع في قناة خاصة أنه ليس لديه كلمات للإدانة في وجه هذا الفعل المتوحش المؤلم للغاية والمستهجن. كتب صحفي آخر: "لقد كفى الآن، وصار لزاماً وقف الجماعات والتنظيمات المتطرفة لإنقاذ باكستان. من الضروري حظر التنظيمات المتطرفة لوقف مثل هذه الأنشطة ضد حقوق الإنسان الأساسية وضد الأحمديين، لكن الخوف من رجال الدين المزعومين كبير لدرجة أن الحكومة أيضاً عاجزة أمامهم، ومؤسسات تنفيذ القانون عاجزة أيضاً والمحاكم عاجزة أيضاً."

ندعو الله تعالى أن يدبر الآن لمحاسبتهم بسرعة، ومن الضروري للحفاظ على البلاد التخلص منهم الآن، لأن هؤلاء الأشخاص المزعومين دينياً، والذين هم في الحقيقة إرهابيون يمارسون الإرهاب باسم الدين، هؤلاء الناس عازمون على تدمير البلد ويهاجمون في كل مكان كل من يعارضهم. على أي حال، إنما نشكو وندعو أمام الله تعالى، وينبغي أن نسعى لأداء حقه كاملاً. رفع الله تعالى درجات الشهيد المرحوم، وألهم ذويه الصبر والسلوان. له والدة كبيرة في السن، خفف الله من حزنها أيضاً وجعل زوجته وأولاده جميعاً في حمايته وأمانه.